مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 11 عدد: 1 السنة: 2022
ص: 992 - 1008 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

# مظاهر التجديد البلاغي عند فضل حسن عباس في كتابه (البلاغة فنونها وأفنانها) وأثرها في تعليمية نشاط البلاغة في المرحلة الثانوية.

# The Manifestations of Rhetorical Renewal of Fadl Hassan Abbas in his Book (Rhetoric their Arts and Arts) and their Impact on the Education of Rhetoric at the Secondary Level.

خولة بولقرون *

**Khawla Boulkroune**

مخبر اللغة العربية والدراسات القرآنية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.

University of Islamic sciences, Constantine.

khawlaboulkroune93@gmail.com

| تاريخ الإرسال: 2021/06/29 | تاريخ القبول: 2021/10/08 | تاريخ النشر: 2022/03/02 |
|---|---|---|

## ملخص البحث

يرتكز هذا البحث على مظاهر التجديد البلاغية الإيجابية التي احتواها كتاب "البلاغة فنونها وأفنانها" لفضل حسن عباس، والتي يمكن من خلالها التوصل إلى طريقة عملية ناجحة في تعليم البلاغة العربية بالثانويات، والهدف من هذه الدراسة إنما تمكين طلاب هذه الثانويات من فهم النصوص الأدبية أو الأبيات الشعرية، والقدرة على استخلاص الذوق منها باعتبار أن الأغلبية منهم لديه عزوف في التواصل مع مثل هذه القطع الأدبية، وعلى إثر هذا يمكن طرح الإشكالية التالية: ماهي مظاهر التجديد البلاغية عند فضل حسن عباس؟ وما هو أثر هذه المناهج التعليمية في الثانوي؟

**الكلمات المفتاحيّة:** التجديد البلاغي، فضل حسن عباس، البلاغة، الذوق، طلاب الثانويات، تعليمية البلاغة.

## Abstract :

cts if Rhethorical renwal container This research is bases on the positive aspe through which it is )s art ans arts'Rhethorical it( s Boo'FadlSummary Abbas .un Dr possible tout reach a successful practical méthode for teaching arabic Rhethoric un e the students of these high y aim of this study is to provid'ans m ,high schools schools to understand literary or poetic textes and the ability to get the aesthetic considering that the most of them are reluctant to communicate ,taste fromage it such literary ppiece.with . Following this, the following problem can be posed:

* خولة بولقرون:khawlaboulkroune93@gmail.com

What are the manifestations of the rhetorical renewal of Abbas? And what is the impact of these curricula in secondary school?

**Keywords:** Rhetorical renewal, Fadl Hassan Abbas, rhetoric, taste, students, teaching rhetoric

**المقدّمة:**

تعد البلاغة العربية اللبِنَة الأولى التي يرتكز عليها كل دارسٍ لعلوم العربية، لما تحمله من فضل كبير وهو تعلقُها بدستور البشرية القرآن الكريم وجعلها فرعا من فروع اعجازه وهو الاعجاز البلاغي، وكذا هيمَنتُها وذَياع صيتِها على غرار العلوم اللغوية الأخرى لما لها من صلة وطيدة بين العقل والذوق.

فالبلاغة العربية علم قديم النشأة اهتمّ بها علماء اللغة منذ العصور الأولى، وصنفوا مؤلفات غلب عليها الطابع البلاغي الفلسفي إلى أن وصلت مرحلة النضج والاكتمال واستقلت بمؤلفات خاصة بها وتجريدها من العلوم الأخرى، ونظرا لقيمتها وأهميتها حاول الدارسون تطويرها والتجديد في آليات تدريسها وفق علوم اللغة العربية والغربية، ومن بين هؤلاء الدارسين فضل حسن عبّاس الذي أفْرَد مؤلَّفه " البلاغة فنونُها وأفنانُها" لخدمة هذا العِلم، فوضع فيه الأسس الحديثة والتصنيفات الأساسية، والقواعد التي يحتاجها التلاميذ على طول مشوارهم الدراسي وخاصّة طلاب هذا الفن بالثانويات لغرض تسهيل تدريسها وتبسيطها لهم، لتمكينهم من استيعاب أبوابها وتقسيماتها المتفرعة.

إن كتاب "البلاغة فنونها وأفنانها" مرجع حديث ومهمّ في مجال البلاغة لما يمتاز به من دقة في سرد فروع فن البلاغة وحسن اختيار الأمثلة التي شرح بها فضل حسن عباس هذه الفروع، فهو يتيح المجال للراغبين في دراسة فنون البلاغة الاطلاع عليه والنهل من معينه.

وعليه فإننا نجد المؤلفات الحديثة أكثر تبسيطا واستيعابا من طرف الطلاب من المؤلفات القديمة، وهذا ما يساعدهم على صقل ملكتهم اللغوية وتطوير ذوقهم، وقدرتهم على التمييز بين التراكيب اللغوية المستوفية شروط البلاغة، وبين التي يُثقِلها الحَشوُ والتكلف فيُلبسها عَيبا ورَداءة.

اشتملت هذه الدراسة على تمهيد بسيط حول مظاهر التجديد البلاغية عامة، ثم يليه جزء تطبيقي مقتبس من مُؤلّف الدراسة مع بيان الأهمية وكيفية إنماء الذوق لدى طلاب الثانويات، خاتمة إياها بجملة من النقاط الأساسية التي تمحور حولها البحث معتمدا في هذا كله على المنهج الوصفي التحليلي.

**أوّلا: ملامح تجديدية عامة:**

بدايات التجديد البلاغية كانت مع أحمد ضيف (1880/ 1945) في كتابه "مقدمة لدراسة بلاغة العرب" التي كانت سنة (1921)، يقول في البلاغة: "كل قول الغرض منه قبل كل شيء الاستيلاء على نفس السامع أو القارئ بفصاحة العبارة وحسن التراكيب وبراعة الكاتب أو الشاعر"، أو هي: "الكلام الفني الممتع، والكلام الفني يملأ نفس السامع وعواطفه في أي موضوع كان، وعلى أي معنى دل".[1]

خرج أحمد ضيف عن دائرة سابقيه في إعطائه المفهوم لفن البلاغة كقول بعضهم هي: مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحته، وهذا بالنظر في عموم التجديد بغض النظر عن التقسيمات الواردة في كتابه كونه خلط بين الأدب والبلاغة، فهي أقرب فن إلى قلب الانسان باعتبارها تمس خلجاته وتراعي أحاسيسه ومشاعره وتعبر عنها بما يثلج صدره ويبعث فيها الطمأنينة والراحة النفسية.

إن المتتبع للتسلسل التجديدي في المؤلفات المتعلقة بالبلاغة يرى أن الدارسين المحدثين قد اهتموا بكتاب "البلاغة الواضحة" بوصفه نقلة جديدة في التأليف البلاغي في العصر الحديث، وعد أساس التدريس لهذه المادة في الثانويات والجامعات، كتب أحمد مطلوب عنه في استعراضه لكتب البلاغة في العصر الحديث، قائلا ما نصه: "ومن أهم الكتب المتداولة "البلاغة الواضحة" للأستاذين علي الجارم ومصطفى أمين، وهذا الكتاب حلقة الانتقال بالبلاغة من طابعها القديم المعتمد على تقرير القواعد وحفظ القوالب إلى الاهتمام بالتحليل، وقد اتبع المؤلفان أسلوبا تربويا جديدا، يقوم على ذكر الأمثلة واستنباط القواعد وشرحها...ولعل أهم ما يمتاز به كتابهما البحث في الأسلوب، وهو بحث جديد في البلاغة التي لم تخرج على ما خطه السكاكي وقرره القزويني".[2]

يرجع حفني شرف سبب الاهتمام بهذا الكتاب لابتعاده عن العقلية المنطقية، ويقول فيما بيانه: "كان يمتاز هذا الكتاب بأن فيه شيئا من التحرر والبعد عن العقلية المنطقية التي أصابت البلاغة والضيق الذهني الذي أصاب علماءها، فكانا يعرضان الشواهد الصورة البلاغية ثم يعقبان عليها بالتحليل الذي يؤدي إلى استنتاج القاعدة، وهذه الطريقة وذلك المنهج وإن عرف عنه الاختصار في القواعد والبعد عن الخلافات، إلا أن فيه اكثارا من الشواهد وتحليلها والكشف عن النكتة البلاغية فيها".[3]

أما بدوي طبانة فنجده يعرض لهذا الكتاب بإسهاب ضمن حديثه عن البيان البلاغي فيقول: "ومن أنفس كتب هذه المدرسة في القرن العشرين كتاب "البلاغة الواضحة" الذي ألفه الأستاذان مصطفى أمين وعلي الجارم".[4]

أغلب المؤلفين البلاغيين أجمعوا على أن لكتاب البلاغة الواضحة دور كبير في سيرورة المنظومة التعليمية وأن لها أثرا كبيرا في تعليم القضايا البلاغية وإيصالها إلى المتعلمين في أبسط صورة. لكل مؤلف جانب إيجابي كما له جانب سلبي وقد تمثل في كثرة الشواهد والإطالة في شرحها مما يشتت تركيز الطلاب ويبعدهم عن المثال الأقرب والأوضح الذي يشرح الظاهرة البلاغية.

**أ/ تدريس نشاط البلاغة العربية وتنمية الذوق:**

إن لتدريس البلاغة العربية أهمية كبيرة، فهي تعلم التلميذ الأداء الرفيع وصناعة الأدب، وتسهم في تكوين الذوق الأدبي وتنميته، كما أنها تبصر الصفات التي تكسب النص الأدبي رفعة وسموا إذ تشكل الجانب الموضوعي في عملية النقد.[5]

وتدريس البلاغة يمكن التلاميذ من التعرف على أسرار الإعجاز البلاغي في الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة مما تساهم في تقوية الجانب الإيماني لديهم وصقل قدراتهم اللغوية والبلاغية، كما أنها تمكنهم من القدرة على النقد الأدبي للأعمال الفنية الشعرية وتقويمها وتحديد مستوى جودتها، وتساهم في تنمية الخيال الأدبي من خلال إلمامهم بالصور والأخيلة التي تتضمنها الأساليب البلاغية الواردة في أعمال الأدباء من قصائد وقصص وروايات وغيرها، وتكسب الطلبة القدرة على محاكاة الأساليب البلاغية وإنشاء الكلام البليغ، غير أن أصواتا كثيرة صارت تتحدث عن صعوبة البلاغة واستحالة فهمها خاصة بعد أن أصبح الدرس الواحد من دروس البلاغة ينجز في ساعة واحدة، وصارت الممارسات التعليمية الحالية تحول دون الأهداف المرجوة، وكرست فساد الذوق وغلبة الصنعة والتكلف والبعد عن الطبع، ومن الخطأ البين في تدريسها، أن يكتفي بذكر التعاريف وتلفيق الشواهد واستخلاص القواعد، وإصدار الأحكام أو جعلها مباحث يختبر فيها العقل بهذه التعليلات الفلسفية القيمة بل يجب أن يكون الأساس الذي يقوم عليه تدريسها هو عرض النصوص الأدبية البليغة واستنباط ما فيها من النواحي الجمالية وجعلها وسائل تعمل على تكوين الذوق الأدبي وإدراك مظاهر الجمال في الكلام البليغ.[6]

ومما ينبغي مراعاته في تدريس البلاغة العربية الاعتماد على الوصف اللغوي الدقيق للظاهرة البلاغية، وتعويد الطالب على الدقة والموضوعية في التحليل، والابتعاد عن الأحكام الانطباعية والآراء المسبقة، وتجنب استعمال العبارات العامة في الحكم على سمات الأسلوب مثل: مشرق الأسلوب، جزل الألفاظ، عذب المعاني، وغيرها.

ومما يسهم في إثراء الدرس البلاغي إجراء موازنات بين النصوص المدروسة، وهي من إحدى الوسائل في سرعة تكوين الذوق الأدبي[7].....وذلك من أجل تمكين الطالب من معرفة أوجه الاختلاف بين الأساليب، ويكون التركيز على الكشف عن الجوانب الفنية الجمالية، والابتعاد عن الأحكام العقلية التي تنطلق من مبدأ الخطأ والصواب، وهذا من شأنه أن يجعل الدرس البلاغي أكثر تشويقا وإمتاعا لدى المتلقي.

ولعل مما يسهم في تنمية الذوق الفني لدى المتعلم معالجة الموضوعات من الناحية النفسية والوجدانية، وذلك بالتحدث عن الجو النفسي للفكرة أو النص، وعن عاطفة الأديب وموسيقى الكلام، واستجابة القارئ.[8]

أثبتت التجربة العملية أن الإكثار من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والنصوص الأدبية البليغة في تدريس البلاغة، من شأنه أن يحبب موضوعات البلاغة إلى الطالب، ويمكنه من التعرف على أسرار الإعجاز في القرآن الكريم، وأسرار البيان في الحديث النبوي الشريف، وفي كلام العرب المنظومة والمنثور.[9]

**ب/ أهداف التجديد البلاغي:**[10]

- التجديد في دراسة علوم البلاغة وفي الربط بينها تحت اسم الصورة البلاغية أو الصورة الفنية أو الصوة الأدبية أو الصورة الجمالية.
- التجديد في درس تاريخ البلاغة من حيث ظواهرها وصلة هذه الظواهر بالأعلام والتيار البلاغي، وفي دراسة القضايا البلاغية من خلال العصور أو من خلال الأعلام.
- التجديد في دراسة علوم البلاغة وصلتها بالعلوم الحديثة مثل علوم الإنسان والنفس والاجتماع والتربية ونظرية المعرفة.
- التجديد في دراسة المصطلحات البلاغية وتدرجها، وقضايا البلاغة من خلال عصورها.
- [11]السعي إلى تخليص البلاغة من تلك الزيادات والحواشي ومن الفلسفة والمنطق وغيرها من العلوم، والاقتصار على المستوى البلاغي والفني فحسب، ولم يؤثر على أحد أنه سعى لتخليص البلاغة من القواعد والتعريفات، إدراكا من الباحثين والمعلمين لأهمية القاعدة والذوق معا.

**ثانيا: ملامح التجديد البلاغي عند فضل حسن عباس في كتابه "البلاغة فنونها وأفنانها":**

**أ/ التعريف بفضل حسن عباس:**[12]

أبو محمد فضل حسن عباس، أحد أبرز علماء السنة في الأردن، وأحد العلماء المعدودين في علوم التفسير وعلوم اللغة والبلاغة، عرفه الناس من خلال كتبه ودروسه ومحاضراته في حلقات العلم وفي المساجد وفي المنتديات العلمية، وعرفه طلاب العلم في رحاب المعاهد العلمية والجامعات، برز الدكتور فضل حسن عباس كأحد أهم علماء التفسير والتلاوة وكان ذلك في السبعينيات حين سجلت له الإذاعة الأردنية 400 حلقة إذاعية في تلاوة وتفسير القرآن الكريم كاملا، كانت باكورة مسيرته العلمية التي أثمرت فيها بعد نتاجا كبيرا وهاما من المؤلفات والنظرات الجديدة في تفسير القرآن الكريم.

ولد فضل حسن عباس سنة 1932م في بلدة صفورية في فلسطين، ونشأ على العلم منذ صغره، فقد كان ببيت والده مكانا للعلماء الذين يرسلهم خاله الشيخ يوسف عبد الرزاق المدرس بكلية أصول الدين في الأزهر، وكان رجلا صالحا حيث أثنى عليه محمد زاهد الكوثري. أتم فضل عباس حفظ القرآن الكريم في بلدته وهو ابن عشر سنين، ثم حفظ من المتون العلمية: متن الغاية والتقريب في الفقه الشافعي، ومتن الرحبية في الفرائض، وجوهرة التوحيد في العقائد، والألفية لابن مالك.

انتقل بعد ذلك إلى الدراسة في عكا، ودرس في المدرسة الأحمدية بمسجد الجزار وبقي فيها بين عامي 1946م، 1947م، وبعد ذلك قرر التوجه إلى مصر عام 1948م ودخل المرحلة الثانوية فيها، بعد ذلك نجح في دخول كلية أصول الدين في الأزهر وتخرج فيها سنة 1952م، وكان عمره آنذاك عشرين سنة، فكان أصغر طالب يتخرج فيها.

حصل على درجة الدكتوراه من الأزهر سنة 1972م، وكانت رسالته بعنوان: "اتجاهات التفسير في مصر والشام".

تعددت المواضيع التي كتب فيها فضل حسن عباس، فنتج عنها مؤلفات منها ما هو في علوم القرآن ومنها: إعجاز القرآن الكريم، لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، وما كان في علوم البلاغة منها: البلاغة فنونها وأفنانها –علم المعاني–، –البيان والبديع–، وما ورد في الجانب الفقهي منه: فقهنا بين التوسط والتسلط، أنوار المشكاة في أحكام الزكاة، وغيرها.

توفي يوم 6 ربيع الأول من عام 1432هـ، الموافق ل 9 شباط سنة 2011م، عن عمر يناهز 79 سنة، حيث كان متوجها إلى مكة المكرمة لأداء العمرة، فوافته المنية قبل خروجه إلى المطار، وصلي عليه في مسجد الزميلي في منطقة الجاردنز في عمان بعد صلاة ظهر يوم 10 شباط ودفن في المقبرة الإسلامية في سحاب بعد أن شيعه آلاف من الأردنيين.

**ب/ الملامح التجديدية في الكتاب:**

**ب/1/ تنظيم المادة البلاغية:** [13]

جاء الكتاب في طبعتين، الأولى هي محاولة تجديدية ناجحة قام بها "فضل حسن عباس"، وذكر فيها أمورا تلخيصية لما أراده من هذا التأليف، فيها يقول: "فهذه مباحث في البلاغة العربية، فن القول، أرجو أن تكون دانية القطوف، سهلة المنال، وارفة الظلال، دفعني لكتابتها وتسجيلها ما كنت أجده في نفسي من معاناة ومكابدة، ما كنت أجده دارسا وأنا جالس على كرسي التلمذة، وما وجدته بعد ذلك معلما ملقنا وأنا على كرسي التدريس. وأنا لا أزعم أن سآتي بجديد ولكن كل الذي أرجوه أن أكون – وقد أفدت من حالتيْ الدرس والتدريس– قد أدركت مواطن الصعوبة، ومواضع الإشكالات، وأسباب الغموض التي تحول بين الدارسين وبين الإفادة من هذا الفن الذي يذهب الطباع، ويثقف الألسنة، ويرهف الحس، مما أودعه الأئمة في كتبهم، ونظمتْه أفكارهم، وجادت به قرائحهم، فسطرته أقلامهم، وإنه لكنز. لو تعلمون. عظيم".

ولعل من بين الأسباب التي يرى "فضل حسن عباس" أنها تجعل من الدرس البلاغي درسا صعب المنال والمراد، وأنها تجعل الدارسين أكثر نفورا منه ما يلي:

- **الأسلوب:** [14] فكثير من الكتب الحديثة رغم ما تحويه من مجهودات جبارة من طرف مؤلفيها إلا أنها صعبة المنال من طرف التلميذ أو المتعلم عامة، لما لها من أسلوب صعب لا يفهمه إلا ذو التحصيل اللغوي المتقن وهذا لا يتوفر إلا في المؤلفين اللغويين، وعليه تجد ذلك العزوف لدى المتعلمين عن مثل هذه المراجع، وفي هذا يقول "فضل حسن عباس": "فالأسلوب إذن الطريقة التي يسلكها صاحب الصناعة في صنعته، إلا أن الذي يعنينا هنا صنعة البيان. لقد خلق الله تبارك وتعالى الناس مختلفين في الطبائع والأذهان، وفي الألسنة والألوان، وفي الأذواق والآفاق، وفي غير هذا من الصفات المتعددة، فلا بد إذن أن يكون لكل طريقته التي يرصف بها عباراته، ويجري بها قلمه، ويصور بها ألمه وأمله".

وذكر أن للأسلوب ثلاثة أقسام وهي:

أ/ **الأسلوب الخطابي:** [15] ويعتمد على العبارات الجزلة القوية، والجمل الرصينة، والنبرة المؤثرة، ويجمل فيه التكرار والتنوع في حركة الإلقاء.

**ب/ الأسلوب العلمي**: ويقوم على قوة الحجة، والبراعة في الإقناع، وترتيب الأدلة، والقوة في دفع الشبهات.

**ج/ الأسلوب الأدبي**:[16] ولا بد له من العبارة السلسة، وجمال التصوير، ورقة التعبير، لأن الهدف منه إمتاع العواطف، وإيقاظ المشاعر، وإرهاف الإحساس.

ولكن هذه الأقسام جميعها لا بد لها من أمور مشتركة، فالأسلوب أيا كان لا بد له من أمرين إثنين: الصورة أولا، والمعنى ثانيا. ونعني بالصورة: هذا القالب اللفظي الذي توضع فيه المعاني.

فالأسلوب إذن لا بد له من المعنى المبتكر، والصورة الجيدة، ولسنا بحاجة أن ننقل لك بعض الأمثلة لكل نوع من أنواع الأساليب، فذلك كثير في كتب الأدب والتاريخ.

- **الأمثلة**: [17] تلحظ أن جل الكتب الحديثة أمثلتها التي تعطى لشرح قاعدة أو فن من فنون البلاغة صعب الفهم، عسير الألفاظ، لا يؤدي الغرض الذي جيء به لأجله، بل يضلل المتعلم ولا يشعره بجمالية الفن أو يكسبه رصيدا لغويا حتى.

وفيها يقول "فضل حسن عباس": "هذه الأمثلة التي نجدها تنتقل من كتاب إلى كتاب، مع قلتها، وخفاء دلالتها في كثير من الحالات على ما يراد تقريره وتصويره للنفس حتى تتفاعل معه". وعليه كان هدفه الأول في هذا المؤلف البلاغي: "الإكثار من الشواهد، وبخاصة خير الكلام من الكتاب الكريم، والسنة النبوية، والكلام البليغ، شعرا ونثرا، ومع ذلك، فلقد رأيتني مضطرا أن آتي ببعض الأمثلة من الواقع الذي نحياه، تسهيلا للقارئ، كي يستوعب الفكرة التي يراد تقريرها".

- **ذكر بعض القضايا التي لا داعي إلى ذكرها**: [18] أو بعبارة أخرى كثرة التقسيمات والتفريعات التي تضلل وتبعد الطلاب عن القسم الرئيس المراد شرحه. فالاستطرادات الكثيرة لا تولد الفهم بل العي والنفور والاستكراه.

وعلى إثر هذه الأسباب التي حالت بين علم البلاغة ومدرسيه، جعل "فضل حسن عباس" مؤلفه "البلاغة فنونها وأفنانها" ملاذ طلاب هذا العلم مراعيا فيه ما يلي: [19]

- الاكثار من الشواهد بدء بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والكلام البليغ من شعر ونثر، وذلك بغرض تسهيل التلقين وتقريب المتعلم من المادة البلاغية وإيقاظ الروح المعرفية فيه، وفي

حالة وجد "عباس" أن المعنى لا يزال بعيدا عن طالبيه يأتي بأمثلة من الواقع الحي لتبسيط كل مستعسر وشرح وتوضيح كل ملتبس.

- توطيد الرابطة بين المتعلم والكتب الخاصة بعلم البلاغة مما كتبه المؤلفون الأولون خاصة منهم عبد القاهر الجرجاني الذي جمع شتات ما كان متفرقا في كتب القدماء من سابقيه وتقنين هذا الفن وإرساء معالمه.
- إلمامه بكثير من القضايا التي أهملها بعض المؤلفين، وذلك إثر انشغالهم بكثرة التقسيمات والتفريعات فسقطت من كتبهم بعض القضايا.
- إرتآى "فضل حسن عباس" أن الهدف الأسمى من هذا التأليف إنما هو صلة القارئ بقضية الإعجاز القرآني من حيث النظم. وهذا الهدف مشترك مع قدماء البلاغيين حينما انطلقوا في دراساتهم بالآيات القرآنية وبيان إعجازها واستخراج القضايا البلاغية منها.

أما فيما يخص الطبعة الثانية والتي أطرى عليها بعض التغييرات والإضافات التي خلت منها الطبعة الأولى فقال فيها: [20] "وهذه الطبعة الثانية لهذا الكتاب، أرجو أن يجد فيه عشاق البلاغة العربية ومحبوها، التواقون للوقوف على بعض مظاهر الإعجاز القرآني، والمتذوقون للبيان العربي، أرجو أن يجد فيها هؤلاء وغيرهم من المثقفين بغيتهم إمتاعا وإقناعا". فكلامه هذا خير بيان وأوضح تصريح عما ينوي تأليفه والهدف الذي يسعى إليه.

جاء كتابه "البلاغة فنونها وأفنانها" في جزأين، فشمل الأول علم المعاني والذي أتى فيه على ذكر كل التقسيمات التي يحتاجها دارس هذا الفن مع تبيان كل قسم بالأمثلة التي تليق به، فذكر فيه:

- الفصاحة والبلاغة كمدخل تمهيدي عام لتعريف هذا الفن أولا فذكر تعريفا مقارنا بهدف التفرقة بينهما، ثم عرف كلا الكلمتين عند علماء اللغة، وفي الأخير ختمهما ببعض الدراسات التاريخية في علم البلاغة قصدا منه توسيع الفكرة لدى القارئ وإحالته على أكبر عدد من المصادر والمراجع التي يمكنه الاعتماد عليها.
- ثم بدأ بعلم المعاني وهو المحور الذي يدور حوله هذا الجزء، فجعله فصولا مفتتحا إياها بمقدمة في علم المعاني مرفقة بتعريف وجيز له. ثم تلاه بفصل آخر تحت عنوان "الخبر" فذكر فيه أغراضه وأضربه. ثم الفصل الثالث كان في "الإنشاء" بقسميه الطلبي وغير الطلبي، وذكر في طيات القسمين أغراض كل منهما، من أمر ونهي، تمني ونداء، واستفهام، وفصل فيها شارحا

وموضحا. ثم فصل رابع في "التقديم والتأخير" عالج فيه قضية المسند والمسند إليه والأحوال المتعلقة بكل منهما مع بيان الغرض منها. وفصل خامس عنونه "بالحذف والذّكر" فبين مواطن كل واحد منهما مع الأمثلة والشرح. ثم فصل سادس في "التعريف والتنكير" ومستلزماتهما. واختص الفصل السابع بتقيد "الجملة" كونها عنصرا أساسيا في التركيب اللغوي فقيدها بالشرط وأرساها بغير شرط. ثم الفصل الثامن في "أسلوب القصر" وأقسامه وأركانه. والفصل التاسع عالج قضية "الفصل والوصل" مع إبراز المواطن التي يختص بها كل نوع مرفوقا ذلك بجملة من الأمثلة التي يتطلبها كل نوع. وآخر فصل كان في "الإيجاز والإطناب والمساواة" والمباحث الخاصة بهم.

إن الناظر في فصول هذا الجزء الخاص بعلم المعاني يلحظ أن المؤلف قد اعتنى بالجملة وأولى التركيب اللغوي عناية كبيرة بوصفه الأساس الذي يبنى عليه كل نص أدبي سواء كان شعريا أم نثريا. فهي فصول وجيزة ومباحثها مضبوطة ومبسطة مع أمثلة مختلفة ومتنوعة، خاتما إياها بتدريبات تطبيقية تقرب الفهم وتبسط القاعدة، وهذا ما يحتاجه كل متعلم مادة معرفية بسيطة مع أمثلة توضيحية تكسبه الفهم والأذن السماعة، وتنمي لديه الرصيد اللغوي والمعرفي وتعوده تذوّق القطع الأدبية واكتشاف الخلل في مختلف التراكيب اللغوية.

أما الجزء الثاني فقد اختصه بعلمي البيان والبديع، وابتدأ فيه:

- بالمفهوم العام لعلم البيان وتطوره على مدى العصور، ثم تلاه بباب أول عنونه بالتشبيه فذكر فيه كل متعلقاته وكذلك فعل مع بابي المجاز والكناية.
- ثم تناول علم البديع الذي ذكر فيه ما يستحق ذكره في فصلين فكان الأول في المحسنات المعنوية أمثال الطباق والمقابلة والتورية وحسن التعليل وتأكيد المدح بما يشبه الذم وضده وأسلوب التحكيم، أما ما أورده في الفصل الثاني من محسنات لفظية فتمثل في الجناس والسجع ورد العجز على الصدر.
- وذيل كتابه بملحقات من بدائع القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكذا ما جاء من الصور البيانية في بعض المختارات الشعرية الحديثة.
- خاتما مؤلفه بخاتمة شاملة محوصِلة لما ورد في كتابه.

ركز "فضل حسن عباس" في إيراده لقضايا هذين العلمين البلاغيين على أهم الفروع التي تُمكن التلميذ في المرحلة الثانوية من التعامل مع أي قطعة أدبية شعرية أم نثرية واستخلاص كل ما اشتملت عليه من قضايا بلاغية، وهذا هو الهدف المنشود الذي يسعى إليه فضل حسن عباس.

ليس معيار التجديد مقتصرا على كثرة المادة التي يحتويها كتاب أدبي وإنما المعيار متمثل في مدى استيعاب القارئ لجزء من هذه المادة المعرفية وقدرته على تطبيقها على القطع الأدبية المختلفة، وهذا النهج الذي انتهجه فضل حسن عباس آملا في أن يأخذ بأيادي طلاب العلم إلى تحسين أذواقهم وتعليمهم طرق الاحتكاك بالنصوص الأدبية مهما اختلفت أنواعها وعصورها واكتساب رصيد لغوي معتبر يرتكز عليه الطالب في مختلف أنواع العلوم كون الأدب واللغة أسيادها.

**ب/2/ تحديد المصطلحات البلاغية:**

لكل مؤلف منهجه الخاص في تأليف كتابه، وهذا المنهج مستنبط من التجارب التي مر بها المؤلف أم من كثرة مطالعته للكتب واحتكاكه بها، فتجد أثر إحدى هذه الكتب بارز في مصنّفاته، و"فضل حسن عباس" ممّن استفاد من تجاربه الأولى حينما كان على كرسي التلمذة، وقد أقر بهذا في بداية مصنفه.

إن ترتيبه للمادة البلاغية وتحديد المصطلحات في هذا المصنف هو مستخلص دراسات معمقة وبحوث مطولة قام بها، فتجده لا يستعمل المصطلحات المختلف فيها، ولا يذكر الفروقات الدقيقة التي تشتت الذهن، وإنما يذكر ما هو متعارف عليه وما هو مستقر لدى جل علماء البلاغة، وسبب هذا واضح لأن هدفه من هذا التأليف كان التعليم، أو بمعنى آخر هدفه إيصال هذه المادة البلاغية إلى الطلاب في أبسط صورها، وهذا هو المعنى الحقيقي للبلاغة.

**ب/3/ التنويع في الشواهد وتحليل النصوص:**

طريقة "فضل حسن عباس" واضحة من أول ورقة في مؤلفه، وتجدها هي نفسها في آخر ورقة منه، حيث يذكر المفاهيم العامة للمادة البلاغية ثم يستدل لك عليها بشواهد متنوعة ابتداء بالآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية أو أشعار العرب أو الأمثال والعبر وحتى من الكلام البسيط المبتذل، أي الأمثلة العادية بغرض التبسيط ومحاولة الإلمام بالموضوع من كل الجوانب، ولهذا محاسن كثيرة منها التنويع في الأمثلة والاستدلالات مما يسمح للطلاب الاحتكاك بأكبر عدد ممكن من القطع الأدبية، وكذا تكوين رصيد لغوي معتبر لدى القارئ، إضافة إلى الغرض الأسمى وهو استيعاب هؤلاء الطلاب للمادة البلاغية المتناولة.

وعلى إثر هذا أقدم مثالا مما جاء في الكتاب في فصل "التقديم والتأخير" باعتباره فصلا مهما في التركيب اللغوي وقوله فيه:[21] "وإذا أردت أن تعرف خطر التقديم والتأخير، فاستمع إلى قوله سبحانه وتعالى:[إِذْ قَالَ إِبراهِيمُ رَبِّيَ الذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ]، [البقرة: ٢٥٨] ولم يقل: (يُحيِي ويُمِيتُ رَبِّي) والفرق كبير، فقوله: [رَبِّيَ الذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ] يفيد أنه لا محيي ولا مميت إلا الله، ولو قيل: (يُحْيِي ويُمِيتُ رَبِّي) لكان المعنى أن الله قادر على الإحياء والإماتة، ولا مانع أن يقدر عليهما غيره. ولهذا قال ذلكم المجادل: [أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ]، أنا لا غيري، لأن النزاع ليس على قدرة الله على الإحياء والإماتة، بل في تفرد الله تبارك وتعالى بهم.

وفي الأهمية التي يشغلها التقديم والتأخير يقول المؤلف: [22] "وإنما جئت لك بمثل هذه النماذج، لتدرك خطر التقديم والتأخير، وعظم شأن النظم الذي هو عمود إعجاز القرآن، ولتدرك ما للعرب من تفنن في نطقهم، ولتتذوق اعجاز القرآن الذي تراه يقدم الكلمة تارة ويؤخرها أخرى".

ودليل أسلوبه التجديدي واضح هنا وجلي في قوله: [23] "وقد مر معك في باب الاستفهام طرف من هذا، فارجع إليه إن شئت ولنشرع معتمدين على الله بذكر مسائل هذا الباب، مقتصرين على أخطرها شأنا، وأكثرها فائدة. ولن نتكلف كما فعل كثير من المتأخرين، فكثير من أغراض التقديم والتأخير لا تحتاج إلى بيان، لأنها تدرك بالذوق لأول وهلة، وكذلك كتعجيل المسرة، أو تعجيل المساءة، والتلذذ، والتبرك، فمثل هذه الأغراض ترتكز في الطبع، حتى عند أولئك الذين لم يدرسوا قواعد البلاغة، ولم يعرفوا عنها شيئا، تقول مثلا: محمد نجح في الامتحان، سعاد نالت جائزة...".

وهذا مثال آخر من جزئه الثاني واضح فيه طريقة التمثيل التي ينتهجها فضل حسن عباس في الكتاب في باب المجاز ويقول فيه: [24] "ولكن هنالك مجازا لغويا ليست العلاقة فيه من هذا النوع أي لا تصلح أن تكون العلاقة فيه وجه شبه، خذ مثالا قول الله سبحانه وتعالى: [جَعَلُوا أَصَابِعَهُم فِي ءَاذَانِهِم]، [نوح: ٧] فإنهم في الحقيقة يجعلون أناملهم في آذانهم، ولكن القرآن أطلق الأصبع وأراد الأنملة، واللغة لم تضع الأصبع للأنملة كلمة الأصبع إذن استعملت في غير ما وضعت له.

وخذ مثلا قول الله تعالى: [قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا]، [المزمل: ٢ ] فإن المقصود بالقيام الصلاة، واللغة لم تضع القيام لتدل على الصلاة فاستعمال القيام في الصلاة استعمال للكلمة في غير ما وضعت له، ولكنك إذا بحثت عن العلاقة بين الأنامل والأصابع، وبين القيام والصلاة، فستجدها بديهة تختلف عما مرت معك من علاقات.

لا يستطيع أحد أن يدعي أن العلاقة بين الأنملة والأصبع المشابهة، ولا بين القيام والصلاة كذلك، إنما العلاقة أن إحدى الكلمتين جزء من الأخرى، ففي الآية الأولى الأنامل جزء من الأصبع فقد استعمل الكل وأريد الجزء وفي الآية الثانية، القيام جزء من الصلاة، فلقد استعمل الجزء وأريد الكل، ولذلك سموا هذه العلاقة (غير المشابهة).

نخلص من كل ما تقدم إلى أن المجاز اللغوي إما أن تكون علاقته (المشابهة) أي تصلح أن تكون وجه شبه بين المعنى الأصلي الذي وضعت له الكلمة وبين المعنى الثاني الذي استعملت فيه بحيث يمكن أن يكون تشبيها".

وقد تكون العلاقة غير المشابهة فلا يمكننا أن نكون تشبيها بين المعنيين، والأول يسمى استعارة، والثاني يسمى مجازا مرسلا، فالاستعارة –إذن– مجاز لغوي علاقته المشابهة، والمجاز المرسل مجاز لغوي علاقته غير المشابهة، وهذا ما استقرت عليه كلمة البيانيين.

ونبدأ الكلام عن أول نوع وهو المجاز المرسل ويقول فيه "فضل حسن عباس":[25] "المجاز المرسل مجال لغوي –كما عرف من قبل– علاقته غير المشابهة، وسمي مرسلا، لأن الارسال هو الاطلاق، فهو مطلق في علاقاته، أي ليس له علاقة معينة كما هو الشأن في الاستعارة، فالاستعارة علاقتها المشابهة كما عرفت، وللمجاز المرسل علاقات كثيرة، ولكن بعضها لا يخلو من التكلف.

وأكثر هذه العلاقات دورانا في الكلام البليغ السببية، المسبَّبية بفتح الباء الأولى، الجزئية، الكلية، اعتبار ما كان، اعتبار ما يكون، الحالية، المحلية، الآلية، المجاورة.

لا يخفى على كل دارس للفنون البلاغية أن المجاز ركن أساسي فيها، وأنه لا يخلو كلام من مجاز طابع له، لما يضفيه عليه من جمال في المعنى واستعارة للألفاظ ودقة في تحديد المراد من الكلام، إضافة إلى كون التعبير المشتمل على المجاز تعبير بسيط تستوعبه عقول طلاب الثانويات على اختلاف مستوياتهم اللغوية لما فيه من تقريب وتعبير عن المعاني بألفاظ بسيطة متداولة فيما بينهم، وتجدهم حتى في أيامهم العادية أغلب كلامهم مجاز منه المقصود ومنه غير المقصود، وهذا جانب خاص باللغة العربية ومميز لها على غرار اللغات الأخرى التي تكون تعابيرها جافة مباشرة.

وعليه ف"فضل حسن عباس" في مثل هذه الأنواع البلاغية تجده يستعمل الأمثلة البسيطة المتداولة التي يمكن استيعابها بسهولة دون اللجوء إلى أي مصدر آخر، لأنه هدفه من تأليفه لهذا الكتاب هو التعليم وليس التقنين.

وهذا مثال آخر من علم البديع نأخذه مما اشتملت عليه المحسنات المعنوية الطباق على سبيل المثال: فيقول فيه فضل حسن عباس أنه في الاصطلاح: [26] "هو الجمع بين الشيء ومقابله، أو الشيء وضده، وقد يكون الشيئان المجموع بينهما اسمين أو فعلين أو حرفين"، ومثال هذه الأصناف الثلاثة جاء في كتابه كالآتي:

مثاله في الاسمين: الظلمات والنور في قوله سبحانه: [كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاس مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ]، [إبراهيم: ١ ]، ومنه أيضا قول الشّاعر:

وأصدعُ شكّي باليَقِين وإنّني لِنفْسِي على بعض المسَاءة حابِسُ

وتقول: "الحياة إما سلم وإما حرب"، والوضع الذي تعيشه أمتنا مستهجن إذ لا هو سلم ولا هو حرب"، ومن كلمات النبوة الجامعة: "اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت".

ومثاله في الفعلين: قوله تعالى: [والسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الميزَانَ]، [الرحمن: ٧]، وفي الأثر: "رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطي منهما من تشاء ارحمنا رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك"، وكذلك ما جاء في الدعاء: "اللّهمّ اغننا بالافتقار إليك ولا تفقرنا بالاستغناء عنك"، ومن الشعر قول دعبل الخزاعي:

لا تَعجبي يا سَلْمُ من رَجُل ضَحكَ المشيبُ برأسِه فبَكى

ومثاله في الحرفين: قوله سبحانه وتعالى: [لاَ يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ]، [البقرة: ٢٨٦ ]، وقولك: "الأمة التي تستحق الحياة لا تسكت عما لها من حقوق ضعفا وجبنا، ولا تترك ما عليها من الواجبات كسلا وأنانية"، ومنه قول الشّاعر:

على أنّني راضٍ بأن أَحمِلَ الهَوى وأخلُصُ منهُ لاَ عليَّ ولاَ لِيَّا

**ب/4/ التمرينات في تطوير فهم البلاغة:** [27]

إن اهتمامه بالمتعلم وإدراج دروس البلاغة ضمن المقرر الدراسي جعله يضع في خاتمة كل فصل تدريبات على شكل تمارين تطبيقية يحلها المتعلم كي يختبر فهمه ويدرك مدى استيعابه لمادة الفصل الذي تناوله.

لا تحقق دروس البلاغة الغرض منها إلا إذا مرن الطالب عليها تمرينا كافيا، ولكي تكون التمرينات جيدة مثمرة يجب فيها ما يأتي:

1_ أن تدور حول عبارات أو نصوص أدبية كاملة من الآيات القرآنية لا جمل مصنوعة.

2_ أن يكون الغرض من التمرينات اختبار الذوق والحس الفني والتعجب في روعة الأسلوب القرآني، لا الإلمام بقواعد البلاغة.

3_ أن يبدو فيها الجدة والطرافة والبعد عن الصيغ المألوفة في التمرينات القديمة.

ومن أمثلة تدريباته ما يلي: [28]

حاول أن تبين أغراض الخبر فيما يلي:

1. قال تعالى: [إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا]، [الكهف: ٣٠].
2. فلسطين هي قلب العالم الإسلامي، وذلك لموقعها الجغرافي، وهي أمانة يعلم الله بها الصادق من الكاذب.
3. إن شر ما أصيبت به أمتنا ميوعة الغرب وإلحاد الشرق.
4. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إنّما الأعمال بالنّيات، وإنّما لكل امرئ ما نوى".
5. قال المتنبّي: صحِب النّاس قَبلَنا ذا الزّمانا وعَناهُم من شَأنِهِ ما عنَانَا.

وغيرها كثير في كتابه.

**الخاتمة:**

- التجديد البلاغي عند فضل حسن عباس إنما هو امتداد واستكمال لما جاء في القديم، فما كان مجملا فصّل، وما لم يعرّف أو يضبط مصطلحه ضبط.
- جفاف البلاغة القديمة باعتبارها كانت نظرية فقط معزولة عن الأدب، أما الحديثة فقد جعلت منها فنا حيويا قائما بذاته له أصوله وقواعده معتمدين على النصوص الأدبية وأولاها القرآن الكريم وما جدت به قرائح العرب قديما زمن الاحتجاج.
- تجريد البلاغة الحديثة من القضايا الفلسفية التي نفرت التلاميذ منها قديما واكتسابها حلة جديدة مبسطة حسب ما يقتضيه منهاجهم التعليمي مما يسهل عليهم طريقة الغوص في بحارها.
- تكييف البلاغة الحديثة مع يستلزمه التطور اللغوي الحاصل في ميدان الأدب.
- تقسيم فضل حسن عباس مؤلفه إلى جزئين فجعل الأول لعلم المعاني وأبرز فيه كل ما يتعلق بهذا العلم مع التدليل على كل فرع من فروعه، وجعل الثانويات لعلم البيان والبديع، وكذا فصل فيهما وبسط الفروع والأمثلة قصد تسهيلها والقدرة على استيعابها من طرف التلاميذ.

- تعويد الطفل منذ مراحله الأولى وعلى مدى مساراته التعليمية وصولا إلى الثانوي على حفظ القرآن الكريم والفصيح من الشعر كي تنمى لديه الملكة اللغوية والذوقية الجمالية، وتعويده اعمال خياله الأدبي قصد بلوغ الغاية وهي التوصل إلى بناء تراكيب لغوية منظومة نظما محكما خالي من الحشو والعيوب البلاغية اللغوية.
- إحالة تلاميذ التعليم الثانوي إلى مثل هذه المراجع مؤلف فضل حسن عباس وتعليمهم كيفية الاحتكاك بها والتعامل مع القطع الأدبية الأخرى.
- التنويع في التمرينات البلاغية بين ما هو من القرآن الكريم وبين ما هو من كلام العرب كالشعر أو الخطب قصد تعويد التلاميذ على التعابير الفصيحة واكسابهم رصيدا لغويا معتبرا.

**هوامش:**

[1]- أحمد ضيف: مقدّمة لدراسة بلاغة العرب، مطبعة السّتفور، القاهرة، ط1، 1921م، ص25.

[2]- عثماني عمار: ملامح تجديد البلاغة في كتاب (البلاغة العربيّة قراءة أخرى) لمحمد عبد المطلب دراسة تحليلية نقدية، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، رسالة دكتوراه، 1436هـ- 1437هـ، 2015م- 2016م، ص100.

[3]- المرجع نفسه، ص100.

[4]- بدوي طبانة: البيان العربي (دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى)، دار الثّقافة، بيروت، ط5، 1976م، ص281.

[5]- إبراهيم محمد عطا: طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1986م، ص29.

[6]- ياسين فرفوري: واقع تدريس البلاغة العربية في التعليم الثانوي وغياب الذوق الجمالي كتاب النصوص للسنة الثانية ثانوي، شعبة الآداب واللغات أنموذجا، مجلة اللغة العربية، جامعة شلف، العدد: 35، ص139، 140.

[7]- عبد الرحمان الهاشمي، وفائزة العزاوي: تدريس البلاغة العربية رؤية نظرية تطبيقية محوسبة، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2005م، ص180.

[8]- راتب قاسم عاشور، ومحمد فؤاد الحوامدة: فنون اللغة العربية وأساليب تدريسها بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2009م، ص326.

[9]- بن عيسى بطاهر: إشكالية تجديد البلاغة العربية رؤية في المنهج وطرائق التعليم، ص65، 66.

[10]- الشارف لطروش: قراءة في دعوات تجديد البلاغة العربية، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، العدد 16، 2016م، ص106.

[11]- يوسف رزقة: القاعدة والذوق في بلاغة السكاكي، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، المجلد 7، العدد1، يناير 1999م، ص194.

[12]- ويكيبيديا، فضل عباس، فضل القرآن، نسخة محفوظة، تاريخ الاطلاع: 7 سبتمبر 2021م، على الساعة: 16:31، https://ar.m.wikipedia.org/wil.

13- فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، دار الفرقان، الأردن، ط4، 1997م، 1417هـ، 1/ 7.

14- المرجع نفسه، 1/ 65، 66.

15- المرجع نفسه، 1/ 70.

16- المرجع نفسه، 1/ 67، 68.

17- المرجع نفسه، 1/ 7.

18- ينظر: المرجع نفسه، 1/ 8.

[19]- ينظر: المرجع نفسه، 1/ 8.

[20]- المرجع نفسه، 1/ 5.

[21]- المرجع نفسه، 1/ 208.

[22]- المرجع نفسه، 1/ 209.

[23]- المرجع نفسه، 1/ 211.

24- فضل حسن عبّاس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، دار الفرقان، الأردن، ط10، 2005م، 2/ 141.

25- المرجع نفسه، 2/ 141، 153، 154، 156، 160، 159، 158.

26- المرجع نفسه، 2/ 279، 280.

[27]- عمر فاروق: تعليم البلاغة وسيلة لمعرفة ما في النصوص الأدبية والإعجاز القرآني، Jurusan Tarbiyah Sekolah Tinggi Agama Islam Negeri (STAIN) Kediri، ص20.

[28]- فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، مرجع سابق، 1/ 111.